

كثرة الخير ، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه ، فإن الخير كله بيديه ، والخير كله منه ، والنعم كلها هو موليتها ، والكمال كله والمجد كله له ، فهو الأكرم حقاً ، ثم ذكر تعليمه عموماً وخصوصاً ، فقال : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ ، فهذا يدخل فيه تعليم الملائكة والناس ، ثم ذكر تعليم الإنسان خصوصاً ، فقال : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فاشتملت هذه الكلمات على أنه معطى الموجودات كلها بجميع أقسامها ، فإن الوجود له مراتب أربعة :

إحداها : مرتبتها الخارجية المدلول عليها بقوله ﴿ خَلَقَ ﴾ .

المرتبة الثانية : الذهنية المدلول عليها بقوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

المرتبة الثالثة والرابعة : اللَّفْظِيَّةُ وَالْخَطِيَّةُ ، فالخطية مصرح بها في قوله : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ ، واللَّفْظِيَّةُ من لوازم التعليم بالقلم ، فإن الكتابة فرع النطق ، والنطق فرع التصور .

فاشتملت هذه الكلمات على مراتب الوجود كلها ، وأنه سبحانه هو معطيها بخلقه وتعليمه ، فهو الخالق المعلم ، وكل شيء في الخارج بخلقه ووجد ، وكل علم في الذهن فبتعليمه حصل . وكل لفظ في اللسان ، أو خط في البنان ، فبقدره وخلقه وتعليمه . وهذا من آيات قدرته ، وبراهين حكمته . لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . والمقصود أنه سبحانه تعرّف إلى عباده بما علّمهم إياه بحكمته من الخط واللَّفْظِ والمعنى ، فكان العلم أحد الأدلة الدالة عليه بل من أعظمها وأظهرها ، وكفى بها شرفاً وفضلاً له « (١) .

\* \*

### ● القَسَمُ بِالْقَلَمِ :

ومن أوائل ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ ن ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٢) ، فأقسم بالقلم ، والقَسَمُ به يدل على أهميته ، فإن الله تعالى لا يقسم بشيء إلا ليلفت الأنظار إلى قيمته وخطره .

\* \*

(٢) القلم : ١

(١) « مفتاح دار السعادة » لابن القيم : ٥٨/١